واقع ومستقبل اللغة العربية في السودان

أ. أبوبكر محمد عثمان

المستخلص:

جاءت فكرة الدراسة من خلال الملاحظة والمعايشة اليومية للباحث للظروف والملابسات التي تحيط باللغة العربية. ستتناول الدراسة واقعَ ومستقبلَ اللغة العربية في السودان، والذي يمكن مقاربته من أوجه مختلفة، ولذا ما سأرمي إليه هو راهن اللغة العربية ومحاولة تلمس مستقبلها في ضوء المعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مستعرضاً التحديات التي تواجهها، طارحاً بعض الأفكار من أجل مستقبلها الزاهر بإذن الله وفق مؤشرات مختارة كأدوات لقياس الواقع الذي يشير إلى أنَّ اللغة العربية في السودان في محنة، وعليه فإنَّ الدراسة تتخذ من الأسئلة التالية كمشكلة تسعى لكشف كنهها وهي: أهي محنة اللغة العربية أم محنة المنتمين إليها؟ أم محنة المتكلمين بها؟ ما هي مصادر هذه المحنة؟ وكيف يمكن الأخذ بيد اللغة العربية في السودان للخروج منها مستقبلاً لتحافظ على أهميتها وكينونتها وتساهم بصورة أكثر فاعلية في الحفاظ على الوحدة الوطنية في بلد متعدد الأعراق والثقافات؟ .

إن اللغة العربية يمكن أن تمرض ولكنها لا تموت لأنها لغة القرآن الكريم، ولهذا فإن الدراسة تهدف إلى معرفة وتحليل الأسباب التي أدت إلى الواقع الراهن للغة العربية في السودان، و إلى تعزيز وترسيخ قيم وأهمية اللغة العربية، ودورها في تماسك النسيج الاجتماعي السوداني من خلال تبيان الخلل الكامن وراء اللغة العربية الفصحى بالبلاد. كما تهدف إلى إبراز التحديات التي تواجه اللغة العربية، والرؤية المستقبلية لها، و رصد السلوك تجاه اللغة العربية لما لها من أهمية.لقد استعانت الدراسة بالمنهج التاريخي لتتبع تطور اللغة العربية عبر الأزمان، والمنهج الوصفي للتنبوء بإحتمالات المستقبل، والمنهج الميداني من خلال الإستبانات التي وزعت على تسعة وتسعون عضواً من أعضاء هيئة التدريس معظمهم من المتخصصين في اللغة العربية من جامعات سودانية مختلفة كوسيلة لجمع البيانات، والتي تم تحليلها بواسطة برنامج التحليل الإحصائي SPSS، وقد خلصت الى نتائج أهمها:أن المنتمين الى اللغة العربية أو المتكلمين بها لا دور لهم في المحنة التي تتعرض لها اللغة العربية في السودان مما تخالف فرضية الدراسة التي تقول: أن الصراعات والنزاعات الداخلية الناتجة عن عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي أدت إلى تضاؤل وتقلص مستوى اللغة العربية في السودان.

المقدمة:

سميت منطقة الدراسة بجمهورية السودان تمييزاً لها عن حزام السودان الأفريقي، والذي يمتد إلى الغرب حتى السنغال، تحدها من الشرق أثيوبيا وإرتريا، ومن الشمال جمهورية مصر العربية، ومن الشمال الغربي ليبيا، ومن الغرب جمهورية تشاد، ومن الجنوب الغربي جمهورية أفريقيا الوسطى، ومن الجنوب دولة جنوب السودان، وبمساحة تقدر بحوالى ١،٨٨مليون كيلومتر مربع.

نزحت القبائل العربية إلى السودان من عدة طرق، من الشرق وسكنت على الساحل الشرقي المقابل للجزيرة العربية وتجاوزته إلى السودان الأوسط والسودان الغربي . ومن الشمال عن طريق وادي النيل وهي القبائل العربية التي تعيش حول نهر النيل في شمال السودان ووسطه، ومن الشمال الغربي عن طريق ليبيا.

منذ عصور ما قبل الإسلام نزحت هذه القبائل إلى السودان و كانت تحمل معها لغات ولهجات عربية، وهذه اللهجات العربية في مجموعها صور مختلفة عن اللغة العربية الفصحى لغة قريش، فالعربية الفصحى لم تنتشر بين

عرب الجزيرة العربية إلا قبل الإسلام (عابدين :١٩٦٧م). ولما ظهر الإسلام ونزحت القبائل العربية باسمه إلى البلاد المفتوحة من الطبيعي أن يعرف النازحون لغة القرآن، وأن يحملوا معهم هذه اللغة إلى جانب لهجاتهم الدراجة إلى السودان، ولكننا لم نسمع عن شئ يستحق الذكر عن العربية الفصحى في السودان إلا منذ القرن السادس عشر الميلادي أي بعد أن استقر العرب المسلمون في السودان ببضعة قرون، وظلت قروناً عدة بين عرب السودان(لغةَ تعبد) إلى جانب اللهجة الدارجة المحلية لكل قبيلة، أما لغة الأدب والخطابة والمحادثة فكانت اللهجة الدراجة وحدها (عابدين :١٩٦٧م). أما في مناطق البجا في الشرق فقد سكن خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا في البجا فقويت البجا بمن صاهرهم من ربيعة وقويت ربيعة بالبجا على من أواها وجاورها من قحطان وغيرهم ممن سكن تلك الديار (الضرير:١٩٦٧)،و في غرب السودان كانت تسود لغات حامية خالصة أو حامية ممتزجة بالزنجية أو زنجية خالصة كلغات الطوارق والميدوب والمساليت والزغاوة والفور، ومن المعروف في قوانين اللغات أنه إذا نزح غزاة أو مهاجرون إلى بلد ما اشتبكت لغتهم بلغة أهله في صراع قد يؤدي إلى انتصار إحدى اللغتين فتغدوا لغة جميع السكان، وقد يؤدي إلى بقاء إحداهما بجوار الأخرى وقتاً طويلاً. فقد تغلبت العربية وحلت محل اللغات الحامية والزنجية في السودان، على أنَّ اللغة الغالبة لا يتم لها ذلك الا بعد وقت طويل قد يستغرق بضعةَ قرون، على أن يكون أصحاب اللغة الغالبة عدداً كافياً يمتزجون بأفراد السكان الأصليين وأن تكون اللغتان المتنازعتان من مجموعة واحدة أو مجموعتين متقاربتين (عابدين :١٩٦٧م)، واللغة العربية في السودان لم تشذ عن القاعدة اللغوية العامة التي تقول : وجود لغة عليا للفكر والأدب مع لهجات محلية للتعامل ظاهرة طبيعية عرفتها العربية من قديمها الجاهلي وتعرفها الدنيا في سائر اللغات الحية.

الإطار المفاهيمي:

لقد اختلف العلماء في تعريف اللغة ومفهومها وليس هناك اتفاق شامل على مفهوم محدد لها، ويرجع سبب كثرة التعريفات وتعددها إلى إرتباط اللغة بكثير من العلوم، ويعد تعريف اللغة عند ابن جني المتوفي في(٣٩٢هـ) في كتابه الخصائص من التعريفات الدقيقة إلى حد بعيد وهو الذي قال (حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)،(بربورة وبهناس: ٢٠١٠م). وتعرّف اللغة على أساس أنها أداة اجتماعية تنمو وتتطور بقوانينها الخاصة بحيث تعكس محتوى الفكر الذي تحمله وتعبر عنه (شمام: ٢٠٠٦م). اللغة هي مستودع التراث ووعاء الفكر وهي ظاهرة إنسانية اجتماعية تعرف بها الملامح المميزة لكل مجتمع في كل عصر من عصور التاريخ (فرج:٢٠١٤م). هي وسيلة اتصال مطواعة ومرنة بالدرجة التي يريدها لها مجتمعها والحريصون عليها (مصطفى: ٢٠١٤م). واللغة هي الإستخدام اللا محدود لموارد محدودة، بمعنى أن الجماعة الناطقة باللغة تظل دوماً قادرة على أن تأتي بعدد لا نهائي من التعابير (على:٢٠٠٦).

هناك العديد من الآراء حول أصل اللغة العربية، منها أنها أقدم من العرب أنفسهم فزعموا أنها لغة آدم في الجنة، وهناك من يرى أنها لغة قريش، و من قدامى اللغويين من يرى أنها لهجة عربية تطورت، والرأي القائل بأنها لغة قريش أقوى، لأن أقدم النصوص بهذه اللغة هو القرآن الكريم ثمَّ الشعر الجاهلي. وعلى الرغم من أن اللغة العربية قد نشأت في أقدم مواطن الساميين (الحجاز، نجد وما إليها) فإن ما وصل إلينا من آثارها يعد من أحدث الآثار السامية، فهو لا يتجاوز القرن الأول قبل الميلادي للغة العربية البائدة (عربية النقوش)، والقرن الخامس بعد الميلاد من اللغة العربية الباقية، وهى التي لا تزال تستخدم عن الأمم العربية لغة أدب وكتابة وتأليف، ولذلك لا نعلم شيئاً عن طفولة اللغة العربية وما اجتازته من مراحل في عصورها الأولى (وافي: ١٩٧٣م). إن تعدد الآراء والفرضيات التي تفسر نشأة اللغة الإنسانية الأولى أدت إلى ظهور ثلاثة نظريات: الأولى: نظرية الوحي والإلهام أو التوقيفية، والثانية: نظرية محاكاة

أصوات الطبيعة ، والثالثة نظرية الاتفاق والمواضعة والاصلاح (بربورة وبهناس: ٢٠١٠م). لقد ذهب مع الاتجاه الثاني الكثير من فلاسفة العصور القديمة ، كما ذهب إليه معظم المحدثين من علماء اللغة. ومن علماء العرب الذين قالوا به ابن جني في كتابه الخصائص، وهى أقرب النظريات إلى الصحة وأكثرها اتفاقاً مع طبائع الأمور وسنن النشء والتطور (فلفيلة: ١٩٧٤م). اللغة العربية من اللغات السامية التي شهدت تطوراً كبيراً وتغيراً في مراحلها المختلفة وبفضل القرآن الكريم أصبحت هذه اللغة الفرع الوحيد من اللغات السامية الذي حافظ على توهجه وعالميته. وأول عهد للعربية بتقديم نص علمي كان في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٢٦- ٨٦ هـ/ ٦٤٦-٧٠٥م) والذي أمر بتعريب الديوان مما جعل اللغة العربية أمام تحدي الترجمة ووضع مفردات وتعابير جديدة، وشهد العصر العباسي الأول مرحلة إزدهار الحضارة الإسلامية في مشارق ومغارب العالم الإسلامي وهو العهد الذي بدأ فيه التأليف، وفي عهد الخليفة العباسي المأمون (٧٨٦-٨٣٣م) الذي جعل لتحديث اللغة العربية معجماً لغوياً ، علمياً ، فلسفياً أطره في بيت الحكمة فتقدم البحث ونمت المادة الفكرية (قاسم: ٢٠١٤م).

وفي طريق تطورها احتكت اللغة العربية احتكاكاً وصراعاً مع أخواتها السامية وغيرها وشقت طريقها إلى جميع الأُمة الإسلامية فتبوأت منزلةً ساميةً وأصبحت إحدى أوسع اللغات انتشاراً في العالم، إذ يتحدث بها حالياً أكثر من ٤٢٠ مليوناً من العرب، بالإضافة إلى عدد من المناطق المجاورة للبلدان العربية، ولكل هذا لم يكن غريباً أن تُصدر الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها بالرقم (٣١٩٠د-٢٨) في يوم ١٨ ديسمبر ١٩٧٣م معتمدةً فيه اللغة العربية لغة رسمية في الأمم المتحدة، وبالتالي أصبح ذلك اليوم والتاريخ يوماً للاحتفال باللغة العربية في كل عام (السبعان:٢٠١٣م).

وللغة العربية خصائص لا تتوافر في غيرها من اللغات أهمها أنها لغة القرآن الكريم . رُوِىَ أن رسول الله صلي الله عليه وسلم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أما بعد... أيها الناس... فإن الربُّ ربٌ واحد، والدين دينٌ واحد، إن العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم ، إنما هي لسانٌ فمن تَكلم العربية فهو عربي) . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (تعلموا العربية فإنها من دينكم) . (يُونس: ٢٠١٤م).

قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ × نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ × عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ × بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ سورة الشعراء:١٩٢-١٩٥.

ومن خصائص اللغة العربية الثراء اللفظي إذ تتضمن الفصحة العربية مئآت الآلاف من الكلمات التي تستطيع التعبير عن المدركات الجديدة المتطورة والمسايرة لحركة الفكر العلمي والإنساني، والترادف هو ما يميزها عن العامية التي تكاد تكون مجردة من المترادفات وهي غنية بمفرداتها، واسعة تتسع لكل معاني الحياة وتزيد (عوض:٢٠١٤م).

مشكلة الدراسة :

تدور الدراسة حول المحنة التي تعانيها اللغة العربية الفصحى في السودان وتتخذ من الأسئلة التالية كمشكلة تسعى لدراستها وهي : أهى محنة اللغة العربية أم محنة المنتمين إليها ؟ ويقصد بهم سكان السودان من الأصول العربية. أم محنة المتكلمين بها أو الناطقين بها ؟ وهم سكان السودان من الأصول غير العربية ، أم محنة كليهما؟. ما هي مصادر المحنة ؟ وكيف يمكن الخروج منها؟.

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى الآتي:

١. الإحاطة بأسباب المحنة التي ألمت بواقع اللغة العربية الراهن في السودان.
٢. تعزيز وترسيخ قيم وأهمية اللغة العربية في البناء الوطني.

٣. الوقوف على المخاطر التي تواجه اللغة العربية بالبلاد واستشراف المستقبل لتفادي هذه الأخطار.
٤. رصد السلوك المتمثل في الآراء والمشاعر والاتجاهات الفورية والعملية حيال اللغة العربية في السودان.

أهمية الدراسة :

لا ندرى هل نحن بحاجة لكي نتحدث للسودانيين عن أهمية اللغة العربية؟ نعم للإحساس والتعايش مع الخلل أو المحنة التي تمر بها اللغة العربية حالياً، ولذا فإن أهمية هذه الدراسة تتلخص في الآتي:

١. تنبيه بما يمكن عمله لتعزيز اللغة العربية الفصحي بإزالة أسباب القصور .
٢. إنها تمثل استجابة لتعزيز النسيج الإجتماعي المتداعي بسبب عدم الاستقرار الذي يميز بعض أجزاء من بلادنا .
٣. محاولة لتأكيد أن مستقبل الوحدة الوطنية في ترسيخ وتدعيم اللغة العربية.
٤. تأتي الأهمية من أهمية الموضوع نفسه ، تهتم الدراسة باللغة العربية، ولكنها لا تغفل دور وأهمية اللغات المحلية الأخرى.

فرضية الدراسة :

تفترض الدراسة أن الصراعات الداخلية الناتجة عن عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي أدت إلى تضاؤل وتقلص مستوى ودور اللغة العربية في السودان .

واقع اللغة العربية :

من الأمور البديهية ان اللغة العربية وإن قضت على اللغات القديمة في مناطق كثيرة من السودان إلا أنها تأثرت بها، كما تأثر الكثيرُ من اللغات الحية الأخرى بالعربية في تراكيبها ومفرداتها. هناك سمات عامة مشتركة بين المتحدثين بالعربية في السودان مما يثير تساؤلاً كبيراً حول الطريقة التي تمت بها للغة العربية الغلبة على ما سواها من اللغات الأصلية، والواضح أن هذه الغلبة لم تتم عن طريق القوة والكثرة العددية وإنما القبائل العربية كانت تمثل حضارةً فتيةً قويةً وثقافةً أكثر حيوية، كما أنّ الثقافة الأصلية لم تكن من الغنى بحيث تصمد أمام الثقافة الوافدة (قاسم:١٩٨٩م)، وبذلك تم تعريب السكان خاصةً في مناطق السودان الأوسط التي تمثل مركز الثقل الحضاري في السودان. إن الواقع اللغوي السوداني يتصف بالتعدد النسبي الذي لا يتناقض مع الجمع بين الوحدة والتعدد، ومن المقرر في قوانين اللغات أنه ما انتشرت اللغة في مساحة واسعة من الأرض وتكلمت بها طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً فلا تلبث أن تتشعب إلى عدة لهجات (وافي:١٩٧٣م). لقد انقسمت اللغة العربية في السودان إلى لهجات كثيرة تختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات، واختصت كل جماعة أو قبيلة متحدة في ظروفها الطبيعية والاجتماعية بلهجة من هذه اللهجات، ويرجع السبب في بروز هذه اللهجات عن اللغة العربية الفصحى إلى عدة عوامل منها:

١. انتشار اللغة العربية في مناطق لم تكن عربية اللسان.
٢. عوامل اجتماعية وسياسية كضعف السلطات المركزية.
٣. عوامل جغرافية طبيعية ذات صلة بالبيئة الطبيعية.
٤. عوامل اثنية، وهي الأصول التي إنحدرت منها.
٥. اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب، الحناجر، الحبال الصوتية والألسن.

يتميز الواقع اللغوي السوداني بثلاث مستويات من اللغة هي:

الأول: اللغة العربية الفصحى، وهي لغة الكتابة والأدب والنشر والتأليف.

الثاني: اللغة العامية، وهي اللغة العامة، شبيهة باللغة النموذجية يتفاهم بها جميع السودانيين رغم السمات المميزة للهجات الخاصة الاقليمية والقبلية.

الثالث: اللهجات المحلية وهي لغات ولهجات خاصة بقبائل وجماعات محددة.

فصّل اللغويون اللغة العربية إلى ثلاثة أصناف رئيسية هي: التقليدي أو العربي، القياسي والرسمي، والمنطوق أي اللغة العربية العامية. العربي التقليدي هو الذي يوجد بشكل حرفي في القرآن الكريم، واللغة العربية القياسية هي اللغة الرسمية في السودان، وهي لغة الخطابة الرسمية واللغة العامية يتكلمها الأغلبية يومياً، وهي تختلف من منطقة لأخرى. إن السودان كغيره من المناطق الأفريقية كان وما يزال يضج بمختلف اللغات واللهجات، وأن وسط السودان الذي يتحث الآن اللغة العربية كلغة أم كان قبل انتشار اللغة العربية يتحدث بلغات محلية، وبعد تمركز القبائل العربية بها كانت الغلبة للغة العربية على اللغات المحلية السائدة، وكلما بعدنا عن مركز الدائرة تضاءل النفوذ العربي المباشر، ووجدت اللغات المحلية فرصةً أكبر للحياة. ففي محيط الدائرة شمالاً ما زال الناس يتحدثون باللغة النوبية ولهجاتها الأربع عند الكنوز والسَكّوت والمحس والدناقلة، وفي الشرق يتحدثون باللغة التبداوية ولهجاتها الخمس عند العبابدة والحلنقا والأمرأر والبشاريين والهدندوة، في حين يتحدث البني عامر من البجة لغة التيقرة، وفي المحيط الجنوب الشرقي للدائرة نجد الأنقسنا يتحدثون بلغتهم الخاصة، وفي غرب السودان اللغات الدارفورية، وهي منطقة تنتمي أغلب لغاتها إلى أسرة اللغات النيلية الصحراوية، وهي أسرة تنتشر جغرافياً من الحواف الجنوبية للصحراء الكبرى (مالي والنيجر) عبر تشاد والأجزاء الجنوبية للسودان حتى مرتفعات أثيوبيا والإقليم الشمالي لكينيا (جاه الله:٢٠٠٥م).

إن اللغة العربية التي نجحت في إخضاع اللغات القديمة واجهت صعوبات في البيئات الجديدة، واضطرت بمرور الزمن إلى التكيف معها، ولهذا تطورت لغة الحديث إلى لهجة تختلف كثيراً عن اللغة الأم. إن الاطار العام للهجة السودانية عربي، فقد احتفظت بالكثير من الألفاظ والمعاني العربية القديمة لتُلائم ظروف الحياة والبيئة، وعليه فإن السمة الغالبة هي العربية أو العربية المتأقلمة، ولكننا ورثنا بجانب ذلك قدراً كبيراً من آثار الحضارات غير العربية التي سبقت العرب، وامتزجت كل هذه التيارات الحضارية والإنسانية التي تعاقبت عليها فأخرجت هذه اللغة السودانية التي تعكس الحياة والشخصية السودانية (قاسم: ١٩٨٩م).

و السودان كغيره من البلدان العربية تأثرت بالفُرس واليونان والرومان ، فانتقلت إلينا كثيراً من الألفاظ الحضرية التي أخذها العرب عنهم، فمن الفارسية جاءت ألفاظ مثل الأطعمة والملابس، ومن اليونانية أسماء الأطعمة كالملوخية والبامية، ومن التركية كل الألفاظ التي تبدأ أو تنتهي بالمقطع (باش) مثل باشكاتب ويوزباش، وأيضاً الألفاظ التي تنتهي (بخانة) كشفخانة وأجزخانة، ومن الإيطالية وصلتنا البندورة والبطاطس، وعن الفرنسية جرسون ودركسون وكرتون، وهذا على سبيل المثال لا الحصر. إن اللغة جماع تجربة البشر في حدود الزمان والمكان، وبالتالي فهي نتاج لظروف اجتماعية وجغرافية وتاريخية تطبعها وتميزها عن غيرها من اللغات، ولهذا فإن ملامح الشخصية اللغوية في العامية السودانية مع اختلافاتها الطفيفة في الأقاليم المختلفة فإننا لابد من أن نتنبه إلى أن لهجتنا هذه مشتقة في معظم مفرداتها وتراكيبها من اللغة العربية وسماتها من هذه الناحية سمات اللغة الأم، ومع ذلك لا يُمكن القول بأن العامية فرع من الفصحى، فهناك احتمال النمو المستقل للهجات العامية، بمعنى هناك احتمال أن تكون اللهجة قد شقت طريقها منذ القدم بعيداً عن اللغة الأم (قاسم: ١٩٨٩م)- فاللغة العامية النيلية المنتشرة في وسط السودان قد أصبحت بحكم اتصال القبائل العربية ببعضها والتقائها على ضفاف النيل للتجارة والتعليم وما إليه هي اللغة المشتركة وتضم أمشاجاً مختلفة من اللهجات العربية القديمة، بالإضافة إلى عناصر أخرى. أما اللهجة فهي مجموعة من الخصائص اللغوية يتحدث بها عدد من الأفراد في بيئة جغرافية معينة (شفيع الدين: ٢٠٠٧م)، وبئية اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها المميزة ويربط بينها جميعاً مجموعة من الظواهر اللغوية

التي تُيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، ويوم تتعدد اللهجات في مجال لُغوي واحد يصعب وضع حدود للهجة بعينها، ولا يعني ذلك أن اللهجات لا تعرف الحدود مطلقاً لأن لكل لهجة مجموعةً من الصفات التي تميزها عن غيرها. إن واقع هذه اللهجات في السودان يشير إلى التعدد والتشابك، وإذا كانت العامية السودانية كلغة شاملة يتكلم بها الأغلبية فإن اللهجات ذات طابع مناطقي وقبلي حتى داخل المجموعة العربية نفسها، فلهجة الكبابيش في شمال كردفان ليست هي لهجة الشُكرية في شرق السودان، رغم أن كليهما من القبائل العربية، وينطبق الأمر على المجموعات غير العربية فهناك اختلافات في اللهجات الأربع التي تشكل اللغة النوبية (الكنزية، السكوتية، المحسية والدنقلاوية)، كما توجد تباينات جوهرية في لهجات قبائل الفور والمساليت والزغاوة والميدوب في غرب السودان رغم انتمائها اللغوي لأسرة واحدة.

لعلماء اللغة عبارتان مشهورتان هما: الثنائية اللغوية والإزدواجية اللغوية. أما الثنائية اللغوية فهي مصطلح يُطلق على تحدث أحد الشعوب لأكثر من لهجة. والإزدواجية اللغوية تعني أن يتحدث شعب ما أكثر من لغة، وكثيراً ما اختلف المُهتمون بمجال اللغويات في التصنيف، وإن جاز لنا في حالة السودان أن نطلق عليها دولة ذات ثلاثية لغوية إذا تم اعتبار اللهجات لغات وهي: لغة عربية فصحى، لغة التأليف والنشر، ولغة عامية مشتركة يتكلم بها معظم السودانيين، ولهجات قبلية أو مناطقية. إن السودان عادةً ما يتم تصنيفه كدولة ذات ازدواجية لغوية (فصحى وعامية) حاله في ذلك حال جميع البلاد العربية مما نادى بعض أهل اللغة بعلاج هذه الإزدواجية فبرز خياران(وافي: ١٩٧٣م).

الأول: أن نسمو بلغة الحديث إلى لغة الكتابة، أي أن نجعلها لغة فصحى.

الثاني: أن نهبط بلغة الكتابة إلى لغة الحديث، أي أن نجعلها عامية.

الخياران مستحيلان والطريقة المثلى أن ندع الأمور تجري في مجاريها الطبيعية، فللغة قوانينها وللظواهر الاجتماعية نواميسها التي تُسير عليها، إن اختلاف لغة النشر والتأليف عن لغة الحديث لا ينطوي على شئ من الشذوذ حتى نتلمس علاجاً له، بل هي السنة الطبيعية في اللغات ولن تجد لسنة الله تبديلا (وافي: ١٩٧٣م).

المحنة:

هل اللغة العربية في السودان في محنة؟ وهل هي محنة حقيقية؟. نعم هي في محنة ومحنة حقيقية في حياة وحيوية وسلامة اللغة العربية بدليل (جدول رقم ١).

أولاً: التدهور والتراجع:

جرى قياس تراجع وتدهور اللغة العربية في السودان بناءً على المؤشرات أدناه:

جدول رقم (١) يوضح الموقف من اللغة العربية وفقاً لمؤشرات مختارة

المؤشر	أوافق (٪)	لا أوافق (٪)
هناك تدهور في مستوى التحصيل الأكاديمي لطلاب المرحلة الثانوية في اللغة العربية	٪٩٣	٪٧
هناك تدهور في مستوى التحصيل لطلاب الجامعات في اللغة العربية	٪٨٨	٪١٢
إحدى أوجه التدهور في اللغة يتمثل في الأخطاء الإملائية	٪٧٥	٪٢٥
من أشكال التدهور كثرة الأخطاء الإنشائية في النصوص	٪٨٥	٪١٥
من مظاهر التدهور الأخطاء التي تحدث في المكاتبات الرسمية	٪٦٥	٪٣٥
من صور التراجع أخطاء المذيعين في الإذاعة والتلفزيون والصحف	٪٨٨	٪١٢

من أبرز مظاهر التراجع هو الأخطاء اللغوية في اللافتات التجارية والإرشادية	٥٩٪	٤١٪
من أشكال التدهور ركاكة الصياغة اللغوية في المكاتبات المختلفة	٨٠٪	٢٠٪
من أشكال التدهور رداءة الكتابة في مختلف المجالات	٦١٪	٣٩٪

المصدر: عمل الباحث

لقد سُئل المبحوثون سؤالاً مباشراً عما إذا كانت اللغة العربية في السودان في محنة أم لا، وكانت النتيجة أن(٧١٪) منهم قالوا ذلك، ولم يكتفوا بذلك بل دعموا مواقفهم بناءً على المؤشرات أعلاه (جدول رقم ١) والذي يتضح منه أن أهم المؤشرات المؤيدة لمحنة اللغة العربية في السودان هي بالترتيب: تدهور في مستوى التحصيل الأكاديمي لطلاب المرحلة الثانوية، تدهور في مستوى التحصيل الأكاديمي للطالب الجامعي السوداني، الأخطاء اللغوية التي تظهر من خلال أجهزة الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة، كثرة الأخطاء الإنشائية في النصوص، ركاكة الصياغة اللغوية في المكاتبات المختلفة، الأخطاء الإملائية، الأخطاء في المكاتبات الرسمية، رداءة الكتابة وأخيراً الأخطاء اللغوية في اللافتات التجارية والإرشادية.

لقد تدهور الأداء اللغوي حتى في الحياة الجامعية التي غلبت العامية على محاضراتها وتفشت الأخطاء النحوية والإملائية والأسلوبية والصياغية في الرسائل العلمية حتى بين المنتسبين إلى أقسام اللغة العربية ومعاهدها وكلياتها (عصفور: ٢٠٠٨م)، أما الإعلام وأجهزته فهو ما زال عاملاً من عوامل تهديد اللغة العربية في السودان، وخاصة الفصحى، وذلك بتشجيعه للعاميات واستخدامها الجاذب في المسلسلات والأغاني، وكذلك في الصحافة والتلفزيون، فالإعلام يحتاج إلى من يَتقن اللغة العربية أولاً، ثم بعض اللغات الأخرى والمذيعون كيف يقومون بدورهم على الوجه المطلوب وهم لا ينطقون اللغة العربية في صورتها الصحيحة؟ وكذلك القادة السياسيون لابد أن يتسلحوا باللغة والفكر والثقافة (يونس: ٢٠١٤م). إن التغيير الحاصل اليوم بالمشهد الثقافي والتربوي العربي يشير إلى أن الخطر على العربية آت من العرب والمسلمين أنفسهم. فإذا ما أدرت أي وسيلة إعلامية عربية لوجدت أن اللغة العربية المستخدمة غير صحيحة، ومملوءة بثغرات تعابير اللغات الأجنبية خاصةً الإنجليزية، والنتيجة لا عربية عامية ولا عربية فصحى، بل لغة هجينة تختلط أكثر من لهجة وأكثر من لغة، ولا تساهم على الإطلاق في إثراء لغة المشاهد العربي الذي يشكو في كل الأحوال من النقص الفاضح في البرامج الجادة (حداد: ٢٠١٤م).

إن الشكوى من تدهور اللغة العربية على ألسنة الناطقين بها سواء في المحافل العامة أو المنتديات النوعية، ولا فرق في ذلك بين التجمعات السياسية أو الثقافية، وحتى المؤسسات التعليمية. وإذا ما استمرت المحنة على ما هو عليه الآن، فإنه ستفرغ جيلاً من المتعلمين يتخرجون في المدارس والمعاهد والجامعات غير مجيدين للمعارف التي حصلوا عليها ومنها اللغة العربية، وهؤلاء عندما تُناط بهم مهمة تدريس غيرهم يؤدون المهمة بغير كفاءة فينشأ جيل أكثر ضعفاً لغوياً مما سبقه، وبانتشار هذا الجيل في وسائل الإعلام والصحافة والتدريس تصير المحنة أكثر وضوحاً (العسكري: ٢٠٠٤م)، ليس هذا فحسب ولكن هناك إسفاف لغوي في مجال الاستخدامات اليومية للغة، لغة هجينة من الركاكة العربية والأجنبية معاً وأخطاء إملائية وصياغية ركيكة.

يرى الباحث أن محنة اللغة العربية في السودان ليس فقط في المؤشرات التي جرى قياسها (جدول رقم ١) وإنما هي محنة شاملة، حيث أن تعليم اللغة العربية اقتصر عليها كأداة جامدة بنحوها وصرفها ودلالاتها ناسين جانبها الأهم الذي يستخدم في حياتنا اليومية وهي وظيفتها لدى العلماء والأدباء على حد سواء (السبعان: ٢٠١٤م). هل سيتراجع مستوى اللغة العربية في البلاد أكثر مما هو عليه الآن؟ على من تقع مسئولية دعم اللغة العربية؟. إذا لم يَستشعر السودانييون الخطر، ويأخذوا أسباب تراجع وتدهور اللغة العربية مأخذ الجد سيحصل ذلك، وستزيد العِلل على

جسد اللغة، وستزداد مرضاً ولكنها ستبقى لبقاء الذكر الحكيم. أما مسئولية إنقاذ اللغة العربية هي مهمة الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات الحكومية العامة والخاصة والمدارس ووسائل الإعلام وأهل الثقافة مع إلتزام وإرادة سياسية، لأن تعليم الفصحى تحديداً أكثر كلفة وأطول زمناً، فالإصلاح يبدأ من شعب متعلم، حر، واع يقوم فيه الأفراد بتحمل المسؤولية تجاه مجتمعهم، ويتمتعون بالعلم والمعرفة ويتساوى فيه الرجال والنساء في تحمل المسؤولية بعيداً عن التجاذبات السياسية والمذاهب العرقية والجهوية.

ثانياً: الأسباب:

تم التوصل إلى أسباب المحنة من خلال المؤشرات الآتية (جدول رقم ٢).

جدول رقم (٢) يوضح أسباب المحنة وفقاً لمؤشرات مختارة

المؤشر	أوافق (٪)	لا أوافق (٪)
من أسباب المحنة ضعف المناهج في اللغة بكل المراحل	٧٧٪	٢٣٪
ضعف تأهيل وتدريب معلمي اللغة العربية من أهم الأسباب	٨٧٪	١٣٪
من أسباب المحنة تدهور البنية التحتية للتعليم بالبلاد	٧٧٪	٢٣٪
الصراعات والحروبات بين الحكومة ومعارضيها من أسباب المحنة	٤٤٪	٥٦٪
غياب قوة الدولة السياسية والاقتصادية من أسباب المحنة	٧٠٪	٣٠٪
المُنتمون إليها والمُتكلمون بها لهم دور في هذه المحنة	٦٨٪	٣٢٪
من أسباب المحنة وقوف غير المنتمين إلى اللغة العربية في السودان ضدها	٤٨٪	٥٢٪

المصدر: عمل الباحث

ومن الجدول يلاحظ أن أهم أسباب محنة اللغة العربية بالترتيب هي: ضعف تأهيل وتدريب معلمي اللغة العربية، ضعف المناهج الدراسية في كل المراحل، تدهور البنيات التحتية للتعليم بالسودان، وغياب الأثر السياسي والاقتصادي للدولة السودانية. ومن أهم النتائج أن الصراعات والحروبات بين الحكومة ومعارضيها لم تكن سبباً من أسباب المحنة (٥٦٪)، وما يؤيد هذه النتيجة أنه طوال تاريخ حركات دارفور السياسية والعسكرية لم تكن لها أجندة تخص اللغات، وكذلك خلال تاريخها التفاوضي لم تكن اللغة العربية ضمن أجندتها مما يعزز دور اللغة العربية في تشكيل الشخصية السودانية. ومن النتائج المهمة للدراسة أيضاً أن المنتمين إلى اللغة العربية والمتكلمين بها لا دور لهم في المحنة (٦٨٪) من المبحوثين يؤكدون ذلك، كما أن غير المنتمين للغة العربية لم يكونوا يوماً خصماً عليها أو لها مما يؤكد أن سيادة اللغة العربية مُعترف بها وطنياً، وبالتالي فهي ليست في صراع مع أي لغة محلية أخرى.

ويعتبر عدم تحقق فرضية الدراسة التي تقول: إنَّ الصراعات والنزاعات الداخلية الناتجة عن عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي أدت إلى تضاؤل وتقلص مستوى ودور اللغة العربية في البناء الوطني من أهم نتائج الدراسة، فقد ثبت خطأ هذه الفرضية (شكل رقم١).

شكل رقم (١) دور النزاعات القبلية في المحنة
المصدر: عمل الباحث

ويلاحظ من الشكل أن حوالي ٥٧٪ من المبحوثين يقرون بألا دور للنزاعات القبلية في المحنة. إن العربية في السودان

طيلة القرون الماضية ومنذ دخولها للبلاد لم تُستهدف أو تُحارب، بل هي في حماية القبائل المختلفة التي ارتبطت بالدين الإسلامي، والمزاج العام في السودان هو أقلمة اللغات المحلية مع العربية.

إن أشكال الصراع اللغوي ثلاث هي (بلال:٢٠١٣م): صراع بين لغة وأخرى أجنبية، صراع بين لغة وأخرى عامية في داخل لغة واحدة (لهجات)، وصراع بين لغة مثالية وأخرى عامية في داخل لغة واحده. لم تشهد تاريخ اللغة العربية في السودان صراعاً مع أي نوع عاميةٌ كانت أم لهجةً، واللغة العربية لغة حية، وما يجعل اللغة حية هو حيوية الناطقين بها على الصعيد الحضاري، وليس فقط على صعيد الثقافة المحلية، مشكلة حيوية اللغة ليست مشكلة قائمة في اللغة نفسها، إنما هي مشكلة الشعب الذي يحمل هذه اللغة (نحاس: ٢٠١٤م).

ثالثاً: التحديات:

تواجه اللغة العربية في السودان بكل مستوياتها التحديات التالية.

١. تضاؤل الشعور بالانتماء:

من دعاة العامية المحلية، إنهم سيواجهون بصعوبة افتقار العامية إلى إمكانات الاشتقاق والتوليد الذي تتميز به الفصحى. وكان العقاد كثيراً ما يعلن أن العامية ليست لغة علم ولا أدب راق يمكن أن يعيش مع الأيام والسنين (فرج: ٢٠١٤م).

٢. تغريب اللغة العربية:

ومن بعده تغريب الانتماء الوطني. ومصطلح التغريب يعني اثنين: إما تبن قيم الحضارة الغربية أو النأي عن الأوطان (قاسم: ٢٠١٤م)، ويدخل ضمن التغريب محاولات تغيير اللسان العربى الذى ارتضاه أهل السودان. إن العالم الجديد بعولمته التي يريد أن يفرضها ومصالحه التي يريد أن يحققها لا يألو جهداً في محاربة اللغة العربية، وهي التي تربط بين الناطقين بها والإسلام، إنهم يبشرون بنمو جديد من الحياة يتخطى الروابط الوطنية والقومية، ويتحلل من الانتماءات الثقافية المحلية والدينية، ومظاهر التغريب منتشرة في السودان منها استخدام كلمات أجنبية أثناء الحديث، وإطلاق تسميات أجنبية على المنشآت والعمارات والمحلات وغيرها، وتزيين ملابس الأطفال والثياب بكلمات لا صلة لها بالعربية، وظهور المدارس الأجنبية التي تدرس بالإنجليزية وسط دعاية واسعة بأنها هي التي تُقدم التعليم العصري، ولأنها باهظة الثمن اقتصر الانتماء إليها على أبناء مُرّوجي العولمة مما أدى إلى استصغار شأن اللغة العربية (الشبلي:

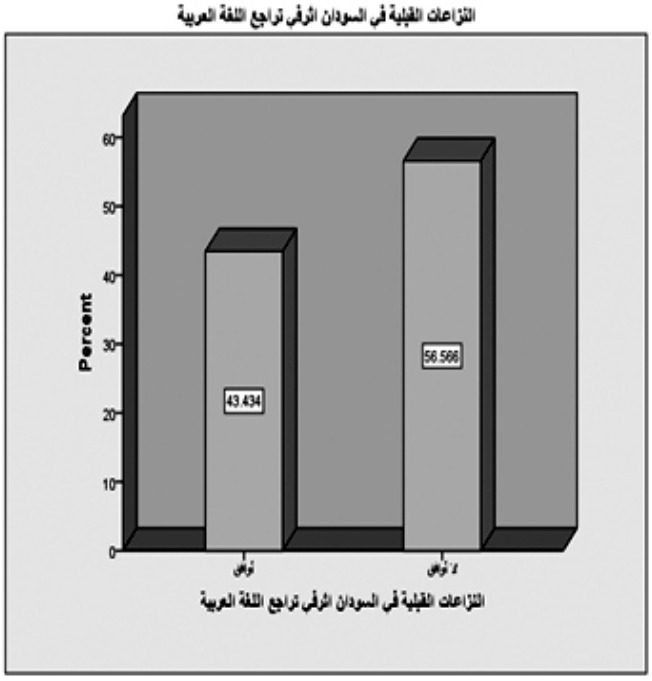

٢٠١٢م).

٣. حضور اللغة العربية في الميادين المختلفة:

إنَّ إهمال اللغة الوطنية يتسبب في تعطيل فكرة الاندماج الوطني والوحدة الوطنية، كما أن عزلة لغة ما وانحطاط مقامها إنما يكون نتيجة صفات قومها من قوة وضعف، وبالتالي فإن خصائص بنية اللغة وسعة مفرداتها لا تَهب اللغة مكانة، ولا يَعطيها حق المعاصرة (قاسم: ٢٠١٤م). فالاضطرابات التي تسود السودان في أجزائه الغربية والجنوبية الغربية والجنوبة الشرقية نقلت مضاعفات السياسة إلى قلب الثقافة، وإذا كان أهل السياسة لا تُلفت نظرهم كثيراً مسألة اللغة، فإن على أهل الثقافة أن يَلتقطوا القفاز بوجوب حضور اللغة العربية في مختلف الميادين وعلى مختلف المستويات.

٤. التطرف والتعصب:

يرتبط الأمر بمفهوم ديني صرف، وفي كثير من الأحايين نجد أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية كقسم واحد، وقد يحل معلم اللغة العربية في الفصل محل معلم الدين الإسلامي. والتطرف في حال وجود ما يُمكن تسميته بالتدين الخاطئ الذي يُقصر الدين على أمور الآخرة، ويعتبره ضداً لما هو حديث، وهنا علينا أن نسأل أنفسنا ما كانت عليه حال اللغة العربية من تَقدم عندما كان المسلمون رواداً في العالم، فلم يكن ارتباط اللغة بالدين عائقاً أمام تطورها، بل كان الدين عامل نهضة ليس فقط علمية بل لغوية أيضاً (أبو شحمة: ٢٠١٣م).

٥. الموقف المُغالي في الدفاع عن اللغة العربية:

الموقف القائم على أساس إنكار الخطر، إن الخطر في إنكار الخطر، الموقف الذي يؤكد على الدوام بأن اللغة العربية في السودان بخير، ولا داعي لإثارة موضوع اللغة العربية والتداول حول حاضرها ومستقبلها لأنها أكثر حِصناً مما يتوقعه الناس.

مستقبل اللغة العربية:

هناك الكثير من الإشارات والدلالات فيما يتعلق بمستقبل لغات العالم. لقد أشارت دراسة لمنظمة اليونسكوصدرت عام ٢٠٠٩م إلى أن العالم يضم ست آلالف لغة، لكن معظمها سيختفي، مشيرةً إلى أن ٩٧٪ من سكان العالم يتكلمون ٤٪ فقط من هذه اللغات، في حين أن ٩٦٪ من هذه اللغات لا يتكلمها سوى ٣٪من سكان هذه الأرض (العامري: ٢٠١٤م). فقد ذكر تقرير نُشر في مجلة الايكونومست البريطانية في إبريل ٢٠١٠م أن الخبراء الغربيين في مجال اللغة العربية يتوقعون وفاتها بسبب ضعف الإقبال عليها من مستخدميها من جهة وضعف الإستثمارات العربية في قطاع التعليم وعدم مواكبة القائمين عليها للتقدم التكنولوجي والعلمي من جهة أخرى (حداد:٢٠١٤م). يتوقع خبراء اليونسكو أن تنقرض ٣٠٠٠ لغة تمثل نصف لغات العالم بنهاية القرن الحادي والعشرين، أي أن هناك لغة واحدة على الأغلب تنقرض كل أسبوعين، وإذا كان ذلك يهدد اللغات التي تنحصر في بلد واحد أو قومية واحدة أو بقعة جغرافية وحيدة، فإن اللغة العربية يمكن ألاَّ تعاني إذا أتيح لها الانطلاق ليقوم بها أهلها، فتكبر بهم ويكبرون بها (السبعان: ٢٠١٤م).

يمكن للغة العربية أن تمرض ولكنها لا تموت طالما الذكر الحكيم محفوظ بذتدبير وإرادة إلهية، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ سورة الحجر: الآية (٩)، وما يميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات الأخرى أنها جزء من الدين الإسلامي لا يمكن أن تنفصل عنه، ذكر ابن تيمية أن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله،

واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون. إن محنة اللغة العربية في السودان هي نتاج محنة عربية أشمل تتعلق بالتراجعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على مستوى الكيان العربي الكبير.ان احد أهم المهتمين باللغة العربية وهو الدكتور نبيل علي يقول عن المحنة (لا يخفى على أحد أن العالم العربي يعيش أزمة لغوية طاحنة على جميع الأصعدة: تنظيراً وتعليماً، نحواً ومعجماً، استخداماً وتوثيقاً، إبداعاً ونقداً، وجاءت تكنولوجيا المعلومات لتضيف إلى خليط هذه الأزمة عنصراً تكنولوجياً متعلقاً بمعالجة اللغة العربية آلياً بواسطة الكمبيوتر (العسكري:٢٠٠٤م).

ومن كل ما ذكر يرى الباحث أن مستقبل اللغة العربية في السودان يتوقف على الآتي:

١. وجود استراتيجية وطنية لغوية شاملة:

على أن تكون الاستراتيجية قابلة للتنفيذ، وذات سقف زمني قابل للمراجعة والحذف والاضافة، وأن تكون أهم مراتكزاتها الإلتزام والإرادة السياسية، وأن تركز على أنظمة التعليم في السودان، هذه الانظمة لا تزال على ما كانت عليه من تقاليد عفى عنها الزمن في المجالات اللغوية ولذلك تقلص تعليم اللغة العربية، فالقصور في آليات ومناهج تعليم اللغات عام وشائع يلقى بثقله على تعليم العربية التي تُوضع مشكلات تعليمها في ذيل قوائم الأولويات. وفي جامعاتنا لا يُقبل على قسم اللغة العربية إلا الطلاب الضعفاء الحاصلون على المجموع الاقل. استراتيجية وطنية أكثر عصرية في التدريب على النطق، وتحسين الخط وتبسيط النحو وتضييق المسافة بين المنطوق والمكتوب أو بين العامية والفصحى، تشجيع الطلاب على التميز في معرفة لغتهم وإمتلاك ناصيتها ناصيتها التعبيرية من خلال طرح مسابقات في المجال مع تطوير المناهج. البداية بالنشء وإذا تشرب التلامذة حُب اللغة من أساتذتهم الذين يجب أن يُعدوا إعداداً تربوياً وعملياً جيداً، وأن يُلحقوا بدورات تدريبية مستمرة لتطوير ادائهم ليكونوا قدوة لطلابهم مع عدم إهمال أسلوب التحفيظ القديم الذي يبدأ بتحفيظ القرآن الكريم وتحفيظ الشعر وتجويد الإملاء والخط، والاستراتيجية بمثابة خارطة طريق للاصلاح اللغوي بعد التشخيص السليم للداء.

٢. علاقة اللغة بالدولة:

إنَّ الدولة طرف أساسي في صنع القرار اللغوي، وأنها مسؤولة عن مصير اللغة الرسمية في حدودها وخارج حدودها (العامري:٢٠١٤م). إن الجانب السياسي له دور مهم في تدبير الشأن اللغوي، حيث برزت النظرية السياسية المعيارية التي تقوم على قيم مثل العدالة والحرية في التجمعات السياسية داخل المجتمعات البشرية، وتناقش دور اللغة في السياسة وفي استقرار الدولة بصفة خاصة، من خلال اهتمامها بدور اللغة في بناء الدولة والوطن، كما بلورت النظرية الاهتمامات فيما يخص اللغة مثل الممارسات اللغوية الفعلية في المجتمع والتصورات التي يحملها الناس عن لغاتهم. وعلى الدولة احترام التعدد والتنوع اللغوي باحترام الحقوق الجماعية للجماعات اللغوية والثقافية. والتعددية اللغوية قد لا تكون من الأمور المتفق عليها، فالقائلون بها قد يحاربون الوحدة اللغوية، والقائلون بالوحدة قد يحاربون التعددية اللغوية، ولكن على المستوى الرسمي يلزم الاعتراف بالتنوع والتأكيد الرمزي للعلاقة بين اللغات، والاعتراف بحق كل جماعة لغوية باستخدام لسانها داخل حدودها، لأن سيادة اللغة العربية باعتبارها اللغة القومية الأوسع انتشاراً والأكثر ضامناً للوحدة الوطنية لا جدال فيه.

٣. فجوة العقل اللغوي:

يقصد بفجوة العقل اللغوي تخلف فكرنا اللغوي في توظيف اللغة علمياً في المجالات الاجتماعية والاقتصادية (علي:٢٠٠٦م)، فجوة العقل اللغوي التربوي، متعلقة بتعليم اللغة وتعلمها سواء كلغة أولى للناطقين بها أو كلغة ثانية لغير الناطقين بها ، فجوة العقل اللغوي الإعلامي، أثر الرسالة الإعلامية على المتلقي، دور وسائل الإعلام في توليد

المصطلحات الجديدة، دور الإعلام في نشر الثقافة اللغوية وتطوير الجوانب الحوارية في استخدام اللغة، فجوة العقل اللغوي الإبداعي وتشمل علاقة اللغة بالأدب والشعر والموسيقى وتشكيل ومسرح وسينما وخلافه. واللغة هي الاصل في الإبداع الفني، وفي المقابل الإبداع الفني هو الأمل في تطوير اللغة (علي:٢٠٠٦م).

٤. حماية اللغة العربية:

تعني الإصرار على سلامتها، إن المستقبل يتوقف على قيمة اللغة العربية فكراً ومنهجاً. حياة اللغة- أي لغة هي حياة المتحدثين بها وخمولها وتدهورها وضعفها هو ضعف في نفوس الناطقين بها، ومعلوم أن الأمة إذا كانت قوية تحافظ على لغتها، ويتسابق الآخرون للعيش بين ظهرانيها لِتَعلم لغتها (مصطفى:٢٠١٤م).

٥. اللغة والهوية:

هناك في السودان من يعتقد أن سؤال الهوية يقع ضمن دائرة خطاب الصفوة ولايُلامس الحياة العادية للناس، ويرى آخرون أن جدل الهوية يثور وقت الأزمات. والسودان بلد تسود فيه الثقافة العربية، وأن اللغة العربية هي لغة التواصل بين أغلب أهله، ولكنه أيضاً يضم ثقافات ولغات أخرى أهمها اللغات النوبية ولغة البجا ولغات جبال النوبة واللغات الدارفورية، وهناك من يعتقد بهوية السودان العربية، ويوجد من يؤمن بهوية السودان الأفريقية، وفي موقف وسط بين الموقفين هناك من يعتقد بأن السودانوية هي هوية السودان، والمؤكد أن قضية الهوية هي إحدى القضايا الرئيسية التي ستطرح للتداول في مؤتمرات الحوار الوطني الآن في السودان، والمرجو أن يصل السودانيون لحسم المسألة. إن أفضل سبيل للتعامل مع قضية الهوية هو الإعتراف بالتنوع والتعدد. إن اللغة العربية لم تكن يوماً في صراع مع الهوية، ولم تنتشر في أرجاء السودان بالقوة، ولكنها تدريجياً تغلبت على اللغات المحلية، واللغة العربية في السودان ليست في خطر بسبب الهوية لأنها لم تكن لغة طبقية في أي وقت، لقد جعلها القرآن ملكاً للجميع. المستقبل للغة العربية وسينحسر فاعلية اللغات المحلية مستقبلاً، والتي في طريقها إلى الإنقراض بدليل أن بعض القبائل في دارفور مثلاً قد تخلت طواعيةً عن لغاتها لتُفسح المجال للعربية، وترتب على ذلك أن تكون دارفور أكثر أجزاء القطر التي بها لغات منقرضة و منها البرتي والميما والقمر والبرقد والبيقو (جاه الله:٢٠٠٥م).

الخلاصة:

إن واقع اللغة العربية في السودان يُشير إلى أن لغة التفاهم والتعامل لدى السودانيين هي العامية، وهي لغة مشتركة لكل سكان البلاد، وأن اللهجات واللغات المحلية الأخرى ذات طابع مناطقي قبلي، وأن التراجع والتدهور الحقيقي قد حدث على مستوى اللغة العربية الفصحى، لغة اهل الثقافة والنشر والتأليف والمكاتبات الرسمية. لا خوف على مستقبل العامية واللهجات، أما العربية الفصحى فهي مهددة بالمزيد من التدهور والتراجع إذا لم يتم اتخاذ السبل الكفيلة بمواجهة أسباب التدهور والتراجع. لابد من المزيد من الاهتمام باللغة العربية، مع الإشارة إلى أن هذا لا يعني اهمال اللغات الأجنبية، إذ أصبح اتقان اللغة الأجنبية شرطاً أساسياً من شروط القبول في الوظائف الكبيرة والاستثمارات المتدفقة مع موجة الانتقال إلى الاقتصاد الحر، ومن ثم مصدراً أعلى للدخل وعلامة على التميز الوظيفي. إن تقدم لغة المجتمع مشروط بتقدم لغته العلمية، ولهذا فان المستقبل يتوقف على الاجتهاد والاصرار على التجدد والموضوعية والأخذ بمكتشفات العصر المعرفية والتقنية.

الدراسة بهذا العنوان ليس المقصود منها جلد الذات أو البكاء على الماضي، بل محاولة لفتح باباً للتداول حول واقع ومستقبل اللغة العربية في السودان. كان يمكن لهذه الدراسة أن تكون بصورة مختلفة عما هي عليه الآن إذا قدر

لها أن تستعين بمؤشرات قياس إضافية أخرى، ولكن الموضوع يبدو عليه الاتساع بحيث يصعب الاحاطة بكل جوانبه، ولذا فإن الدراسة إكتفت بابراز الخطوط العريضة له، وهي خطوة في اتجاه نأمل أن يكمل المشوار آخرون، وبالتالي فهي جهد المُقل ليس إلا.

المراجـع:

١. القرآن الكريم.
٢. الضرير، عبدالله عبدالرحمن الأمين، ١٩٦٧م، العربية في السودان، الجزء الأول، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
٣. عابدين، عبدالمجيد، ١٩٦٧م، تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث- الدين، الاجتماع، الأدب، الطبعة الثانية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.
٤. عبدالتواب، رمضان، ١٩٩٠م، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
٥. فلفيلة، عبده عبدالعزيز، ١٩٧٤م، مقالات في التربية والفقه والبلاغة النقد.
٦. قاسم، عون الشريف،١٩٨٩م، الإسلام والعربية في السودان، دار الجيل، بيروت، لبنان ودار المأمون المحدودة، الخرطوم، السودان.
٧. وافي، علي عبدالواحد، ١٩٧٣م، فقه اللغة، الطبعة السابعة، الفجالة، القاهرة، مصر.
٨. مجلة العربي، العدد ٥٦٤، نوفمبر ٢٠٠٥م، صـ٧.
٩. مجلة العربي، العدد ٥٧٦، نوفمبر ٢٠٠٦م، صـ١٥٠-١٥١.
١٠. مجلة العربي، العدد ٥٩٢، مارس ٢٠٠٨م، صـ٧٦.
١١. مجلة العربي، العدد ٦٤٥، أغسطس ٢٠١٢م، صـ١٢.
١٢. مجلة العربي، العدد ٦٥٩، اكتوبر ٢٠١٣م، صـ ١٢٦-١٢٧.
١٣. مجلة العربي، العدد ٦٦١، ديسمبر ٢٠١٣م، صـ١١.
١٤. مجلة العربي، العدد ٦٦٢، يناير ٢٠١٤م،ص١٦.
١٥. مجلة العربي، العدد ٦٦٣، فبراير ٢٠١٤م، صـ١٧.
١٦. مجلة العربي، العدد ٦٦٤، مارس ٢٠١٤م، صـ٣٦.
١٧. مجلة العربي، العدد ٦٦٦، مايو ٢٠١٤م، صـ٢٦.
١٨. مجلة العربي، العدد ٦٦٧، يونيو ٢٠١٤م، صـ١١٦.
١٩. مجلة العربي، العدد ٦٦١، اغسطس ٢٠١٤م، صـ٣٠-٣٣.
٢٠. جاه الله، كمال محمد، ٢٠٠٥م، السلوك تجاه اللغة وانعكاساته على مسألتي الوحدة الوطنية والاندماج القومي- دراسة مقارنة لحالتي جنوب السودان ودارفور، ورقة مقدمة لأعمال الحلقة النقاشية حول أزمة دارفور- الموقف وسيناريوهات الحل والتدخل، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.
٢١. Wiki) ar.Wikipedia.org)
٢٢. BBCArabic.com
٢٣. Sudanile.com

٢٤. WWW.Laits.utexas.edu
٢٥. WWW.altaseeh.com
٢٦. WWW.sudaneseonline.com/board
٢٧. Barbouraarabblogs.com
٢٨. WWW.alarabiah.org
٢٩. WWW.banglojo.intor/index